

## النهضة الحسينية كلمات ودلالات

م.م أحمد جاسم ثاني

جامعة البصرة/ كلية التربية

للإمام الحسين (عليه السلام) كلمات خالدة قالها في حياته الشريفة، وهي تجري مجرى الحكَم والمواعظ، منها ما يتعلق بنهضته المباركة، ومنها ما صدر عنه قبل النهضة، وقد جسدت هذه الكلمات في مجملها أسمى المعاني الوعظية، وأجلّ الدروس النافعة في بناء الشخصية الإسلامية، فصارت نبراساً يهتدي به كل أحرار العالم، وأنموذجاً يحتذى به كل من ينشد الحرية والعزة والكرامة، ويأبى الذل والهوان. ومن هنا تأتي أهمية قراءة هذه الكلمات والوقوف عندها بتأمل، والاستضاءة بنورها والسير بهديها، فضلاً عن ذلك فإن هذه الكلمات هي نصوص أدبية بلغت الذروة في الفصاحة والبلاغة، ونحن حينما ندرس اللغة والأدب العربي فحريّ بنا أن نبدأ بها ونستقي الشواهد منها بعد القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

### أدب الإمام الحسين (عليه السلام):

يمثّل الإمام الحسين (عليه السلام) امتداداً لجده وأبيه وأخيه الإمام الحسن المجتبي (عليهم السلام) في المعرفة والافتقار الفنّي في التعبير، على الرغم من الأحداث السياسية التي عاصرها وأدّت إلى استشهاده، وقد أشاد بأدبه وبلاغته العدو قبل الصديق، ولا يزال كذلك حتى في أحلك الظروف كيوم عاشوراء<sup>(١)</sup>، إذ وصفه المؤرخون بأنه لم يُسمع متكلم قط قبله ولا بعده أبلغ منه في منطقه<sup>(٢)</sup>، ((ولهذا لمّا خطب الخطبة التي أولها: الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال متصرفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرته والشقي من فتنته ... إلخ. قال عمر بن

<sup>١</sup> - ينظر: أدب الشريعة الإسلامية، د. محمود البستاني: ٢١٧-٢١٨.

<sup>٢</sup> - ينظر: مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي: ٢٠٧/٨.

سعد: ويلكم كلموه فإنه ابن أبيه، والله لو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً لما انقطع ولما حصر. فكلموه))<sup>(١)</sup>.

والإمام الحسين (عليه السلام) خير مَنْ جسّد مفاهيم الإسلام والقرآن في زمانه، فهو من أهل بيت تُرِنوا بكتاب الله فعادلوه، وترجموه بأقوالهم وأفعالهم (عليهم السلام)، يقول أحد الباحثين: إن ((أئمة أهل البيت (عليهم السلام) لم تكن ميزتهم الوحيدة، أنهم أقدر من غيرهم على فهم حقائق الإسلام والنطق بها، وإنما كانوا هم الأقدر من غيرهم على تجسيد هذه المفاهيم وتحويلها إلى واقع وإلى تطبيق ونموذج في وقت كثر فيه المتكلمون وقل فيه الفاعلون))<sup>(٢)</sup>.

ويمثّل كلام الإمام الحسين (عليه السلام) في مجمله مدرسة أدبية هادفة، وإذا ما عدنا إلى كلماته التي أطلقها قبل نهضته المباركة وبعدها فإننا سنتحسّس الأثر الكبير الذي تتركه في نفوسنا، ونشعر بأننا بخير ما دمنا حسينين سائرين على نهج الحسين (عليه السلام)، فلا نعدّ نبالي إن أودينا أو حرّمنا أو قُتِلنا كما قال (عليه السلام): ((موتٌ في عزٍّ خيرٌ من حياةٍ في ذُلٍّ))<sup>(٣)</sup>.

### **كلمات الإمام الحسين (عليه السلام)، ودلالاتها:**

عبّرت كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) عن دلالات كبيرة ومتنوعة، ولكنها في مجموعها ضمّت دروساً قيّمة في الأخلاق، والحث على التحرر من عبادة غير الله تعالى، والشجاعة في قول الحق، والحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها من الأهداف التي تتبين في النقاط الآتية:

<sup>١</sup> - مستدرك سفينة البحار: ٢٠٧/٨.

<sup>٢</sup> - على خطى الحسين (ع)، د. أحمد راسم النفيس: ٦٢.

<sup>٣</sup> - موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع)، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع): ٦٠٢.

## ١ - في ذم الدنيا وعبيدها:

قال الإمام (عليه السلام): ((إن هذه الدنيا قد تغيرت وتتكّرت وأدبر معروفها، فلم يبقَ منها إلا صُبابة كصُبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أن الحق لا يعمل به وأن الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً، فإنّي لا أرى الموت إلا سعادة ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً. إن الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديّانون))<sup>(١)</sup>.

رأى الإمام الحسين (عليه السلام) أن الدنيا قد تغيّرت وتتكّرت وأدبر معروفها، ولم يبقَ منها إلا صُبابة؛ ((والصُبابة بالضم: البقية من الماء في الإناء))<sup>(٢)</sup>، وقوله: كصُبابة الإناء أي: ((ما فضل في أسفل الإناء من الشراب))<sup>(٣)</sup>، وخسيس عيش، بمعنى العيش الدنيء<sup>(٤)</sup>، والمرعى الوبيل؛ أي: البستان الذي أصابه الوباء والقحط فلا يعدّ يثمر، ولم يكن الإمام (عليه السلام) يصف الدنيا بهذه الأوصاف إلا بعدما رأى أن الحق لا يعملُ به وأن الباطل لا يُتّناهى عنه؛ لذلك رغب في لقاء الله تعالى محقاً، فما قيمة الحياة إذا كانت في ذلّ وهوان، مما دعاه إلى الإعلان عن تصميمه على الشهادة قائلاً: ((فإنّي لا أرى الموت إلا سعادة ولا الحياة مع الظالمين إلا برماً))<sup>(٥)</sup>، على الرغم من أنه كان يعلم بما سيحصل له ((وَخَيْرَ لِي مَصْرَعٌ أَنَا لَاقِيهِ، كَأَنِّي بِأَوْصَالِي تُقَطَّعُهَا عُسْلَانُ الْفُلُوتِ بَيْنَ النَّوْأَيْسِ وَكَزْبَلَاءِ))<sup>(٦)</sup>.

١ - تحف العقول عن آل الرسول (ص)، ابن شعبة الحرّاني: ٢٤٥.

٢ - الصحاح، الجوهري، (صبيب): ١/١٦١.

٣ - شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي: ٣/١٥٠.

٤ - ينظر: الصحاح: (خسس): ٣/٩٢٢.

٥ - تحف العقول عن آل الرسول (ص): ٢٤٥.

٦ - موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع): ٣٩٧.

وكان يعلم أنه سيواجه الظلم مع قلة الناصر، وتخاذل الأمة عن نصره الحق؛ لذلك قال: ((إن الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معائشهم فإذا مُحِّصُوا بالبلاء قل الديانون))<sup>(١)</sup>.

فبعدهما رأى خيانة القوم الذين بايعوا أمير المؤمنين (عليه السلام)، وسرعان ما انقلبوا على أعقابهم بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ونكثوا عهدهم، وكذلك ما حدث في زمن الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) من خيانة القوم وتخاذلهم عن الجهاد؛ بسبب مكر معاوية وخدعه في إغرائهم بالأموال، أدرك الإمام الحسين (عليه السلام) واقع الناس، فوصفهم بعبيد الدنيا، والدنيا هنا كناية عن المذات والرغبات والأهواء الزائلة، والدين عندهم وسيلة لا غاية، بل إن دينهم دنائيرهم، لا يعنيه الحق والباطل؛ لذلك تخلفوا عن الحق ومالوا إلى الباطل الذي أغراهم بالمال وأستحوذ عليهم فأنساهم ذكر الله، ومعنى قوله: ((فإذا مُحِّصُوا بالبلاء قل الديانون))، إن الناس إذا تعرضوا لأبسط صور التمحيص والاختبار لا تجد مَنْ يصمد وينجح إلا القلة منهم وهم المؤمنون؛ لأن أهل الحق الثابتين وأهل الدين الحقيقيين هم قلة دائماً. وهو ما حصل بالفعل مع الإمام الحسين (عليه السلام) حينما أرسلت إليه الكتب أن أقدم إلينا يابن رسول الله فإن لك جنداً مجتدة، ولما قدم إلى كربلاء نكث القوم عهدهم، كما خانوا سفيره مسلم بن عقيل (عليه السلام) من قبل.

## ٢- في أصناف العباد والعبادة:

وعباد الله ليسوا سواء، فهم على مراتب وأصناف، ويتحدد نوع العبادة تبعاً لسببها، قال الإمام الحسين (عليه السلام): ((إن قوماً عبدوا الله رغبةً، فتلك عبادة التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبةً، فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً، فتلك عبادة

<sup>١</sup> - تحف العقول عن آل الرسول (ص): ٢٤٥.

الأحرار، وهي أفضل العبادة))<sup>(١)</sup>. فربط بين الرغبة والتجارة؛ لأن التجار عادة ما يتصفون بالرغبة والطمع، وكذا الذي يعبد الله رغبة في ثوابه، فعبادته عبادة الطامعين بجزاء الله تعالى، كما ربط بين الرهبة والعبودية؛ لأن العبد المملوك عادة ما يتصف بالرهبة والخوف من مولاه، وكذا الذي يعبد الله تعالى خوفاً من عذابه وناره، فعبادته عبادة العبيد، فلا النوع الأول من العبادة مرغوب فيه ولا النوع الثاني، وإنما يختار أولياء الله العارفين بحقه النوع الثالث من العبادة، وهي عبادة الشكر لله تعالى، ويسمونها الإمام (عليه السلام) عبادة الأحرار؛ لأن الإنسان حينما يتحرر من هوى النفس لا يرغب بالثواب ولا يخاف العقاب، فيكون مخلصاً لله تعالى، وهو المعنى الحقيقي للحرية، لا كما يفهمه بعض الناس اليوم ويتوهم بأنها بمعنى التحرر من كل قيد والخروج على المؤلف، لذلك قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ((ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، لكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك))<sup>(٢)</sup>، أي أن عبادته عبادة العارف بحق الله تعالى، الشاكر لآلائه، وهي عبادة الأحرار.

### ٣- في الحث على الجهاد:

وجه الإمام الحسين (عليه السلام) بعد صلاة الظهر من يوم عاشوراء خطاباً لأصحابه فقال: ((يا كرام، هذه الجنة قد فتحت أبوابها واتصلت أنهارها، وأينعت ثمارها، وهذا رسول الله "صلى الله عليه وآله" والشهداء الذين قُتِلوا في سبيل الله يتوقعون قدومكم ويتباشرون بكم، فحاموا عن دين الله ودين نبيه، وذبوا عن حرم الرسول))<sup>(٣)</sup>.

وروي أن عمر بن سعد رمى نحو الحسين (عليه السلام) بسهم وقال: اشهدوا لي عند الأمير أني أول من رمى، وأقبلت السهام من القوم كأنها القطر، فقال (عليه

<sup>١</sup> - تحف العقول عن آل الرسول (ص): ٣١٤.

<sup>٢</sup> - بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ١٧٦/٦٧.

<sup>٣</sup> - صحيفة الحسين (ع)، جمع الشيخ جواد القيومي: ٣٠٨-٣١٠.

السلام) لأصحابه: ((قوموا أيها الكرام إلى الموت الذي لا بد منه، فإن هذه السهام رسل القوم إليكم، فوالله ما بينكم وبين الجنة والنار الا الموت، يعبر بهؤلاء إلى جنانهم وبهؤلاء إلى نيرانهم))<sup>(١)</sup>.

فهو يخاطب أصحابه باسم (الكرام)؛ لأنه يعلم أنهم سيجودون بأنفسهم وينالون الشهادة في سبيل الله، ثم بدأ يحثهم على الجهاد عبر أسلوب أدبي رفيع، إذ صور لهم لقطات في غاية الجمال عن الجنة ومشاهدها، فصورة فتح أبواب الجنة للترحيب بهم، وصورة اتصال الأنهار وجريانها، وصورة إيناع الثمار، وصورة استبشار النبي (صلى الله عليه وآله) والشهداء السابقون بهم... ما هي إلا عوامل قوة وثبات للمجاهدين، إذ تربط على قلوبهم، وتزيدهم عزيمة وإصراراً على مواجهة العدو الظالم، ومهما تكن النتيجة فهم الفائزون بإحدى الحسنيين؛ إما النصر وإما الشهادة والفوز بالجنة، وهذا ما يحصل اليوم في واقعنا.

وقد قسم الإمام الحسين (عليه السلام) الجهاد على أربعة أقسام حينما سئل عنه أهو سنة أم فريضة؟ فقال: ((الجهاد على أربعة أوجه: فجهادان فرض وجهاد سنة لا يقام إلا مع فرض وجهاد سنة، فأما أحد الفرضين فجهاد الرجل نفسه عن معاصي الله وهو من أعظم الجهاد، ومجاهدة الذين يلونكم من الكفار فرض...))<sup>(٢)</sup>.

فجعل جهاد النفس أول أقسام الجهاد وأعظمها، مما يدل على أهمية تقوى الله ومحاربة هوى النفس والابتعاد عن خطوات الشيطان، ليصل الإنسان إلى منزلة الأحرار الذين عبدوا الله شكراً، ومن ثم ينطلق إلى مجاهدة الكفار، وهنا يستحضرنا قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) حينما بعث بسرية فلما رجعوا قال: ((مَرْحَباً بِقَوْمٍ قَضَوْا الْجِهَادَ الْأَصْغَرَ وَبَقِيَ الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ "ص" وَمَا الْجِهَادُ

<sup>١</sup> - صحيفة الحسين (ع): ٣٠٨.

<sup>٢</sup> - المصدر نفسه: ٢٤٣.

الأكْبَرُ؟ قَالَ جِهَادُ النَّفْسِ))<sup>(١)</sup>. وقال (صلى الله عليه وآله): ((إن أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه))<sup>(٢)</sup>.

#### ٤- في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ومن كلام طويل له (عليه السلام) في الحث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقيمة هذه الفريضة المعطلة قوله: ((اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به أوليائه من سوء ثنائه على الأحزاب إذ يقول: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَخْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ - إِلَى قَوْلِهِ - لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، وإنما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمة الذين بين أظهرهم المنكر والفساد فلا ينهاونهم عن ذلك رغبة فيما كانوا ينالون منهم ورهبة مما يحذرون والله يقول: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي﴾<sup>(٥)</sup>، وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾<sup>(٦)</sup>، فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة منه، لعلمه بأنها إذا أُديت وأُقيمت استقامت الفرائض كلها حينها وصعبها...))<sup>(٧)</sup>.

وتُعد فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الفرائض التي أمر الإسلام بإقامتها، قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٨)</sup>، وقد حذرنا رسول الله (صلى

١ - الكافي، الشيخ الكليني: ١٢/٥.

٢ - وسائل الشيعة، الحر العاملي: ١٦٣/١٥.

٣ - المائدة: ٦٣.

٤ - المائدة: ٧٨-٧٩.

٥ - المائدة: ٤٤.

٦ - التوبة: ٧١.

٧ - تحف العقول عن آل الرسول (ص): ٢٣٧.

٨ - آل عمران: ١٠٤.

(صلى الله عليه وآله) من مغبة ترك هذه الفريضة بقوله: ((لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَيْنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيَسْلُطَنَّ اللَّهُ شِرَارَكُمْ عَلَىٰ خِيَارِكُمْ، فَيَدْعُو خِيَارَكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ))<sup>(١)</sup>.

ومن مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر انطلق الإمام الحسين (عليه السلام) في نهضته المباركة إلى ساحات الجهاد ليرفع كلمة الحق، ويدحض كلمة الباطل، وقد حشدت عليه الدولة الأموية جيوشها الهائلة، فلم يحفل بها<sup>(٢)</sup>، وأعلن عن عزمه وتصميمه بكلمته الخالدة قائلاً: ((وَأَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشِرًّا، وَلَا بَطِرًا، وَلَا مُفْسِدًا، وَلَا ظَالِمًا، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي (صلى الله عليه وآله)، أُرِيدُ أَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليهما السلام)، فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الْحَقِّ فَإِنَّهُ أَوْلَىٰ بِالْحَقِّ، وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصْبِرُ حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ))<sup>(٣)</sup>، فلم تكن ثورته مجرد حادثة وقعت في التاريخ ثم انتهت، وإنما هي ثورة متجددة على مر العصور، ولا زالت تمدنا بالعتاء والقوة والعزيمة والقدرة، شأنها شأن القرآن الكريم الذي لا يختص مضمونه بعصر النزول، وإنما يتجدد في كل عصر ويعالج قضايا كل زمان، فالحسين (عليه السلام) هو قرآن ناطق، وكذلك قضيته وحركته هي لكل عصر<sup>(٤)</sup>.

## هـ - قلة الناصر وتخاذل الأمة:

ذكر الإمام الحسين (عليه السلام) في إحدى رسائله لأشراف الكوفة: ((وَقَدْ أَتَيْتِي كُتُبُكُمْ وَقَدِمْتِ عَلَيَّ رُسُلُكُمْ بِيَعْتِكُمْ، أَنْتُمْ لَا تَخَذُلُونِي، فَإِنْ وَفَيْتُمْ لِي بِيَعْتِكُمْ فَقَدْ اسْتَوْفَيْتُمْ حَقَّكُمْ وَحَظَّكُمْ وَرُسْدَكُمْ، وَنَفْسِي مَعَ أَنْفُسِكُمْ، وَأَهْلِي وَوُلْدِي مَعَ أَهَالِكُمْ

<sup>١</sup> - ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ٨٨٤/٢.

<sup>٢</sup> - ينظر: حياة الإمام الحسين (ع)، الشيخ باقر شريف القرشي: ١١٢-١١٣.

<sup>٣</sup> - موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع): ٣٥٤.

<sup>٤</sup> - ينظر: الإمام الحسين (ع)، السيد محمد باقر الحكيم: ٣٧.

وَأَوْلَادِكُمْ، فَلَكُمْ فِي أَسْوَةٍ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَنَقَضْتُمْ عَهْدَكُمْ وَمَوَائِقَكُمْ وَخَلَعْتُمْ بَيْعَتَكُمْ، فَاعْمُرِي مَا هِيَ مِنْكُمْ بِئُكْرٍ، لَقَدْ فَعَلْتُمُوهَا بِأَبِي وَأَخِي وَابْنِ عَمِّي (...))<sup>(١)</sup>، يتضح من كلامه (عليه السلام) أنه كان يعلم بأن القوم الذين كاتبوه واستقدموه سيخذلونه ولا ينصرونه، لأنهم فعلوها من قبل بأبيه علي وأخيه الحسن وابن عمه مسلم (عليهم السلام)، وهو حينما ثار وأعلن عن السبب الحقيقي لثورته، الذي يتلخص بحديث جده رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا، مُسْتَحَلًّا لِحَرَمِ اللَّهِ، نَاكِتًا لِعَهْدِ اللَّهِ، مُخَالَفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ، يَعْمَلُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، ثُمَّ لَمْ يُغَيِّرْ بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ، كَانَ حَقِيقًا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهُ مَدْخَلَهُ))<sup>(٢)</sup>، أراد من ذلك أن ينبّه الغافلين المستكينين إلى ذلهم وهوانهم، ويقول لهم: انتبهوا معشر الناس! إن الساكت عن الظلم بعدما رأى ما رأى، وألّقت عليه الحجة هو شريك للظالم الجائر<sup>(٣)</sup>.

إن هؤلاء القوم المتخاذلين كان لهم ضمير حي، ويتحسسون الظلم والمأساة والآلام، ويدركون الحق، وقد عبّر الفرزدق عن هذا الضمير بقوله للحسين (عليه السلام): ((قلوب الناس معك وأسيافهم عليك))<sup>(٤)</sup>، ولكنهم في الوقت نفسه فاقدوا الإرادة، وفقدان الإرادة له أسبابه؛ كالخوف من الطغاة والضعف أمامهم، وجهل الحقيقة وفقدان الرؤية الصحيحة بسبب التضليل الإعلامي الذي يمارسه الأعداء لتشويه الحقائق، وكذلك اليأس والقنوط من تحقيق الأهداف الذي يؤدي إلى عدم جدوى الحركة والتصدي، فضلاً عن الإغراء بالأموال والمناصب وشراء الضمائر<sup>(٥)</sup>.

<sup>١</sup> - موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع): ٤٥٨.

<sup>٢</sup> - بحار الأنوار: ٣٨٢/٤٤.

<sup>٣</sup> - ينظر: المنبر الحر، الشيخ عبد الحميد المهاجر: ١٦٤.

<sup>٤</sup> - موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع): ٤٠٧.

<sup>٥</sup> - الإمام الحسين (ع): ١٤٢-١٤٩.

## ٦- محاربة الفساد من أهم أهداف النهضة:

بيّن الإمام الحسين (عليه السلام) في بعض خطبه ورسائله وهو في طريقه إلى كربلاء أن نهضته المباركة تستهدف محاربة الفساد الذي كان يمثل السمة البارزة في حكومة بني أمية، ((أَلَا وَإِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ لَزِمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ، وَتَرَكَوْا طَاعَةَ الرَّحْمَنِ، وَأَظْهَرُوا الْفُسَادَ))<sup>(١)</sup>، فلا بد حينئذٍ من الوقوف بوجه هذا الفساد ومحاربتة؛ لأن السكوت عنه يؤدي إلى فساد عامة الأرض، ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾<sup>(٢)</sup>، ومن جهة أخرى بيّن (عليه السلام) أن هذه الحرب هي واجب شرعي على كل مسلم، مستدلاً بقول رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله...))<sup>(٣)</sup>.

ولمّا وقع الانحراف الواسع عن القيم والأسس الإسلامية بما ظهر من فساد وشيوع لظواهر اجتماعية آخذة في الانتشار على حساب القيم الإسلامية، وجد الإمام الحسين (عليه السلام) نفسه ملزماً بالقيام بواجبه، وذلك من خلال إحداث تلكم الهزّة النفسية في مجموع الأمة للرجوع عن غيّها، وإحياء ضمائر هؤلاء القوم الذين غفلوا عن حقيقة واقعهم<sup>(٤)</sup>.

إذاً فالنهضة التي قادها الإمام الحسين (عليه السلام) كانت تأدية لواجب شرعي، متمثلاً بوجود الثورة على كل مسلم حال رؤية الفساد وتفشيهِ في جذور المجتمع الإسلامي، ولاسيما إذا أدى إلى تغيير كلي في أحكام الإسلام<sup>(٥)</sup>.

١ - موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع): ٤٣٨.

٢ - البقرة: ٢٠٥.

٣ - موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع): ٤٣٨.

٤ - ينظر: النهضة الحسينية، الشيخ عبد الهادي الفضلي: ٤٤-٤٥.

٥ - ينظر: الثورة الحسينية خصائص ومرتكزات، السيد علي الخامنئي: ٨١.

وما أحوجنا اليوم إلى تأدية هذا الواجب الشرعي، والوقوف بوجه الفساد الذي يعم مجتمعاتنا، ولاسيما إذا علمنا بأن النهضة الحسينية تمثل نبزاً لسائر النهضات التحررية في العالم ضد الظالمين، وهي الانفجار العظيم الذي هزَّ عرش كل الطغاة المستبدين، كما مهَّدت الطريق أمام الثورات الأخرى وهيأت الأسباب لقلع جذور دولة بني أمية وبني العباس وغيرهما، ولا تزال إلى يومنا هذا<sup>(١)</sup>. فالحسين (عليه السلام) باستشهاده فتح مدرسة العبرة للجميع؛ ليقارعوا الظلم، ويتحمَّلوا الشدائد والمصاعب حتى يذوقوا طعم السعادة<sup>(٢)</sup>.

## ٧- الصبر والتوكل على الله خير معين:

من كلماته (عليه السلام) في التوكل على الله تعالى وطلب مرضاته قوله: ((من طلب رضى الله بسخط الناس، كفاه الله أمور الناس، ومن طلب رضى الناس بسخط الله، وكله الله إلى الناس))<sup>(٣)</sup>. ومن هنا أدرك الإمام الحسين (عليه السلام) أن لا يعتمد في نهضته على أحدٍ سوى الله تعالى، فقد أعلن عن توطين نفسه على لقاء الله تعالى، وعزمه على بذل مهجته في سبيل الله ونصرة الحق وإحياء الدين الإسلامي الذي كادت أن تُدرس معالمه ويُعفى أثره<sup>(٤)</sup>، ولم يعبأ بقلة الناصر، وتخاذل الأمة عن نصرته؛ لأنه كان متوكلاً على الله تعالى ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>(٥)</sup>، فكفاه الله تعالى، ولم يزل على هذا الحال حتى اللحظات الأخيرة من

<sup>١</sup> - ينظر: رؤى عن نهضة الإمام الحسين (ع)، السيد محمد الحسيني الشيرازي: ١٤.

<sup>٢</sup> - ينظر: عاشوراء دروس وعبر، السيد صادق الحسيني الشيرازي: ٥٥-٥٦.

<sup>٣</sup> - المصدر نفسه: ٣٣٦-٣٣٨.

<sup>٤</sup> - ينظر: رؤى عن نهضة الإمام الحسين (ع): ١٠.

<sup>٥</sup> - الطلاق: ٣.

حياته (عليه السلام)، إذ دعا بهذه الكلمات: ((صَبْرًا عَلَى قَضَائِكَ يَا رَبِّ لَا إِلَهَ سِوَاكَ، يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ، مَا لِي رَبُّ سِوَاكَ، وَلَا مَعْبُودٌ غَيْرُكَ ...))<sup>(١)</sup>.

ومما يدل على توكله المطلق على الله تعالى أنه لم يجبر أحداً من أصحابه على البقاء معه، بل أمرهم بالانصراف عنه ليحفظوا أنفسهم؛ لأن القوم لا يطلبون غيره، فقال مخاطباً إياهم: ((فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَاباً أَوْلَى وَلَا خَيْراً مِنْ أَصْحَابِي، وَلَا أَهْلَ بَيْتِ أَبْرَ وَلَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَجَزَاكُمُ اللَّهُ عَنِّي جَمِيعاً خَيْرًا، أَلَا وَإِنِّي أَظُنُّ يَوْمَنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءِ غَدًا، أَلَا وَإِنِّي قَدْ رَأَيْتُ لَكُمْ، فَانْطَلِقُوا جَمِيعاً فِي حِلٍّ، لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنِّي ذِمَامٌ، هَذَا لَيْلٌ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا))<sup>(٢)</sup>.

## ٨- مسيرة الدعاء نحو كربلاء:

والم تأمل في مسيرة الإمام الحسين (عليه السلام) من المدينة إلى كربلاء، يدرك مدى الارتباط بينه وبين الله تعالى؛ لأن نهضته المباركة تمثل حبلًا متصلًا بين الأرض والسماء، والم تأمل أيضاً في كلماته التي دعا بها ربه تعالى، يدرك مدى تسليمه المطلق لله تعالى.

ففي كل محطة وفي كل مناسبة تجد دعاءً له (عليه السلام)، ومن ذلك مثلاً دعاؤه في صباح يوم عاشوراء الذي قال فيه: ((اللَّهُمَّ أَنْتَ تَقْتِي فِي كُلِّ كَرْبٍ، وَأَنْتَ رَجَائِي فِي كُلِّ شِدَّةٍ، وَأَنْتَ لِي فِي كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقَةٌ وَعُدَّةٌ، كَمْ مِنْ هَمٍّ يَضْعُفُ فِيهِ الْفُؤَادُ وَتَقَلُّ فِيهِ الْحِيلَةُ، وَيَخْذُلُ فِيهِ الصَّدِيقُ وَيَسْمَتُ فِيهِ الْعَدُوُّ، أَنْزَلْتَهُ بِكَ وَشَكْوَتُهُ إِلَيْكَ، رَغْبَةً مِنِّي إِلَيْكَ عَمَّنْ سِوَاكَ، فَفَرَجْتَهُ عَنِّي وَكَشَفْتَهُ، فَأَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ نِعْمَةٍ، وَصَاحِبُ كُلِّ حَسَنَةٍ وَمُنْتَهَى كُلِّ رَغْبَةٍ))<sup>(٣)</sup>. فقد ضرب أروع الأمثلة في الصبر

<sup>١</sup> - موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع): ٦١٥.

<sup>٢</sup> - المصدر نفسه: ٤٧٩.

<sup>٣</sup> - المصدر نفسه: ٥٠١.

والتوكل على الله، واللجوء إليه تعالى، دون أن يتردد أو تتزعزع إرادته، مهما رأى من آلام وتحمل من مصائب، إلى أن جاد بنفسه الشريفة، وهو أقصى غاية الجود.

### خاتمة البحث:

وفي الختام فإن هذا البحث هو قطرة من بحر الإمام الحسين (عليه السلام) اللجّي، وقبس من نور كلماته، ودرس متواضع من مدرسته، وقفنا عنده وقرأنا بعض أقواله القدسية، وتأملنا فيها لعلنا نأخذ العبرة والموعظة في بناء أنفسنا، ثم في بناء مجتمعنا وإصلاح ما فسد منه، فجاء هذه الدرس مناسباً لما قصد إليه البحث، فوقف عند أبرز كلمات الإمام الحسين (عليه السلام)، وبيان أثرها في بناء الشخصية الإسلامية، في ضوء مضامينها التي دلّت على مفاهيم عدة، منها ذم الدنيا وعبيدها، وأصناف العباد، والحث على الجهاد، وأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فضلاً عن موضوعات تتعلق بالنهضة الحسينية، كقلة الناصر والمعين، والتوكل على الله تعالى وحده، وفاعلية الدعاء فيها ... وغيرها من المبادئ النافعة في بناء النفس والمجتمع.

وبعد هذه القراءة لتلك الكلمات الخالدة يمكننا أن نتعلم كيف نتحرر من هوى الشيطان، ونجاهد أنفسنا أولاً، ونخلص في عبادة الله تعالى، ثم ننطلق إلى جهاد الأعداء الذين يريدون بنا الذل والهوان والعبودية، ونرفع شعار النهضة الحسينية عالياً (هيئات منّا الذلة)، حتى لو لم نجد الناصر والمعين فالله تعالى خير ناصر وخير معين، وهو القائل تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَصَرُّوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، ونحن اليوم نعيش مرحلة الصراع بين الحق والباطل ولنا في كلمات الإمام الحسين (عليه السلام) أسوة حسنة، والحمد لله رب العالمين.

## مصادر البحث

### القرآن الكريم.

- ١- أدب الشريعة الإسلامية، د. محمود البستاني، ط/١، ١٤٢٤هـ، مؤسسة السبطين (ع) العالمية، مطبعة محمد، قم.
- ٢- الإمام الحسين (ع)، السيد محمد باقر الحكيم، (د.ط)، ٢٠٠٨م، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، مطبعة العترة الطاهرة، النجف الأشرف.
- ٣- الثورة الحسينية خصائص ومرتكزات، السيد علي الخامنئي، ط/١، ٢٠٠١م، معهد سيد الشهداء، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.
- ٤- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط/٤، ١٩٨٧م، الناشر: دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.
- ٥- الكافي، الشيخ الكليني، تح: علي أكبر غفاري، ط/٣، ١٣٨٨ هـ، دار الكتب الإسلامية، مطبعة حيدري.
- ٦- المنبر الحر، الشيخ عبد الحميد المهاجر، ط/١، ٢٠٠٨م، الناشر: عاشوراء، قم المقدسة، مطبعة معراج.
- ٧- النهضة الحسينية بين مقتضيات الواقع الاجتماعي والقيام بالواجب الشرعي، من محاضرات الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي، ط/١، ٢٠١٣م، منشورات بيت الحكمة الثقافي.
- ٨- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ط/٢، ١٤٠٣هـ، مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.
- ٩- تحف العقول عن آل الرسول (ص)، ابن شعبة الحراني، تح: علي أكبر الغفاري، ط/٢، ١٤٠٤هـ، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين.
- ١٠- حياة الإمام الحسين بن علي (ع) دراسة وتحليل، الشيخ باقر شريف القرشي، ط/٢، ٢٠٠٨م، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، العراق - كربلاء المقدسة.
- ١١- رؤى عن نهضة الإمام الحسين (ع)، السيد محمد الحسيني الشيرازي، ط/٩، ٢٠٠٤م، دار صادق للطباعة والنشر، العراق - كربلاء المقدسة.

- ١٢- شرح الأخبار، القاضي النعمان المغربي، تح: السيد محمد الحسيني الجالي، ط/٢، ١٤١٤هـ، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ١٣- صحيفة الحسين (ع)، جمع الشيخ جواد القيومي، ط/١، ١٣٧٤ ش، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ١٤- عاشوراء دروس وعبر، من محاضرات السيد صادق الحسيني الشيرازي، (د.ط)، (د.ت)، مؤسسة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله).
- ١٥- على خطى الحسين (ع)، الدكتور أحمد راسم النفيس، ط/١، ١٩٩٧م، الناشر: مركز الغدير للدراسات الإسلامية، مطبعة: فروردين.
- ١٦- مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، تح: الشيخ حسن بن علي النمازي، (د.ط)، ١٤١٨م، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ١٧- موسوعة كلمات الإمام الحسين (ع)، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (ع)، ط/٣، ١٩٩٥م، الناشر: دار المعروف للطباعة والنشر.
- ١٨- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ط/١، (د.ت)، الناشر: دار الحديث، مطبعة دار الحديث.
- ١٩- وسائل الشيعة، الحر العاملي، تح: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، ط/٢، ١٤١٤هـ، الناشر: مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث بقم المشرفة، مطبعة: مهر - قم.